الْغِبُولِيْنِ وَظِيفَةِ الْعُرِيْنِ وَظِيفَةِ الْعُرِيْنِ

كَتبَهُ يَاسِررُهِا فِي عِلَى مِي غَفَرَ لِللهُ لَهُ وَلَوَ الدَيْهِ وَلِجَوِيعِ النسلينَ







معقوق الطكب عمجفوظة

ڴٳڔؙڵڬۣٳڣٞٵڸڗؖٳۺؾ ٳڒڛڝۮڔ؞<u>؞</u>

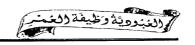
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٢٣٠م

حَائِلَفِي إِلَيْكَالِاحِيَّ

الأسكند رين مصطفي كامل بجوار مسجد الفتح الإسلامي ١٠٦٧١٤٧٠٠ -١٠٣٧١٤٧٠ كَلِيْكِينَا لِللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

الأسكند ريت أبو سليمان ـ ش عمر أمام مسجد الخلقاء الراشدين ١٩١٥-١٢٠١٥ - ١٢٠١٥٢١٥



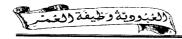


بِشِيْرِ أَنْدَا لِحَجَرِ ٱلْحَيْرِي

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عَلَاللهُ الله عبده ورسوله، أرسله ربه مبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وجعله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى - أسوة حسنة لعباده المؤمنين السائرين إلى الله - تَعَالى - على طريق العبودية، وأنزل الله تَعَالى عليه فيها أنزل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ آلَجْنَ وَٱلْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ مَا أَرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ إِنَّ ٱللهَ هُوَ الزَّرَاقُ وَالْمَدِينُ ﴾ [الذاريات:٥١-٥٨].

وأنزل - عزَّ وجلَّ - عليه فيها أنزل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِى وَتَحْيَاىَ وَمَمَاتِي بِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَالِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أُوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الانعام:١٦٢-١٦٣].

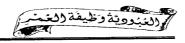




فبين له حقيقة هذا الدين ودعوته العالمين أن يعبدوا الله لا شريك له.

وجعل أمته كذلك قبل أن يوجدوا وقبل أن يولدوا، قَالَغَجَّالِيْ : ﴿ مُحَمَّدُ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ ۚ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَآءُ بَيْنَهُم ۗ تَرَلَهُمْ رُكَّعًا سُجَدًا يَبْتَغُونَ فَضَلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا لَسِيمَاهُم فِي وُجُوهِهم مِّنْ أَثْرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰ لِكَ مَثَلُهُم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعَهُ مَثَلُهُم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعَهُ مَثَلُهُم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعَهُ وَعَارَرَهُ وَالسَّتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ ٱلزُرَّاعَ لِيغِيظَ مِنْهُم أَلْكُونَ وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ مِنْهُم مَعْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح:٢٩].

وجعلهم - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - كها وصفوا في الكتب المتقدمة رهبانًا بالليل ليوتًا بالنهار، أناجيلهم في صدورهم - أي يحفظون الكتاب الذي أنزله الله على النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَى النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَى النبي عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللهُ على النبي اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُ على اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُوْنَ اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُ على اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُ على اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُ اللهُ على النبي عَلَىٰ اللهُ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىْ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ عَلَىٰ اللهُ اللهُو



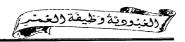
وجعل - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - شرط التمكين تحقيق هذه الوظيفة (العبودية لله) قَالِنَجَّالِیٰ: ﴿ وَعَدَ آللَهُ الَّذِینَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ هُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرتَضَىٰ هُمْ وَلَيْبَدِلَهُم مِّنْ بَعْدِ خَرِفِهِمْ أَمْنَا عَبْدُونِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيئا وَمَن كَفَر بَعْدَ خَرِفِهِمْ أَمْنَا عَبْدُونِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيئا وَمَن كَفَر بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ ﴾ [الور:٥٥].

⁽١) التمكين: أن يمكنهم من إقامة دينه في أنفسهم وفي الأرض وتحقيق الإسلام والإيمان والإحسان.



فهي غاية وجود الإنسان، وهي غاية بعثة الرسل قَالَغَ اللهِ (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ آغَبُدُوا اللهَ وَالْجَبَالِيُ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ آغَبُدُوا اللهَ وَمِنْهُم مَّنَ اللهَ وَالْجَبُرُوا الطَّعُوتَ فَي فَي اللهُ وَمِنْهُم مَّنَ هَدَى الله وَمِنْهُم مَّن حَقَّتْ عَلَيْهِ الطَّلُوا الطَّيْفُوا فِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ وَمِنْهُم مَّن عَيقِبَهُ الضَّلَالُةُ فَسِيرُوا فِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَمِنْهُم عَن عَلقِبَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل





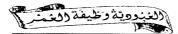
العبادة هي غاية الوجود

قَالَغَخَالِنَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِّخِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات:٥٦]

فوظيفة كل مكلف من الجن والإنس على مر أنفاسه؛ أن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا، وهذه أول الواجبات، قَالْغَجَّالِيُ: ﴿ وَٱعَبُدُوا اللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ عَشِيكًا أَ وَبِالْوَالِدِيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي اللّهُ رَبّ وَالْمَسَكِينِ وَالْجَارِ ذِي اللّهُرَيِّ وَالْجَارِ اللّهُ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَآبِنِ السّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ أُ إِنَّ اللّهَ لَا تُحِبُ مَن كَانَ كُنْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء:٣٦].

فذكر الله - عزَّ وجلَّ - عشرة حقوق أوجبها - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - على العباد، أولها: الوصية بعبادة الله وحده، لا شريك له.





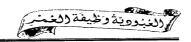
وهي قضاء الله الشرعي، قَالنَّهِ النَّهُ وَقَضَىٰ رَبُكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل هَمُمَا أُفْ وَلَا تَنْبَرَهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً تَنْبَرَهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرَبْرُهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرَبْرُهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [الإسراء:٢٢].

وهي أول الحكمة وآخرها كذلك، قال تعالى في بيان فضل هذه الآيات من سورة الإسراء: ﴿ ذَالِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَىٰهَا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَمُ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:٣٩].

والإله هو المعبود

ويكفي في بيان أهمية هذه الوظيفة العظيمة -العبادة لله عزَّ وجل - أنها معنى أعظم كلمة وأفضل كلمة قالها النبيون، وأفضل كلمة قالها إنسان، هي لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، فلا يعبد بحق في السهاوات والأرض سواه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وكل معبود يعبد من دونه فعبادته باطلة وشقاء وعناء.

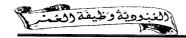




لذة العبادة

وإذا تأملنا أن الله - عزَّ وجلَّ - جعل للإنسان في الأمور التي يحتاج إليها لبقائه واستمرار حياته رغبة ولذة فيها، لأنه لا قوام لحياته إلا بها؛ فإنه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ - جعل للإنسان رغبة في الطعام والشراب، فيجوع إن لم يأكل، ويعطش إذا لم يشرب.

فجعل في جسمه هذه الحاجة، وذلك لأنه بدون الطعام والشراب لا يعيش، ولا يمكن أن يقوم له كيان، بل يهلك إذا ترك الأمر إلى رغبته، فإذا لم يرغب في الأكل لم يأكل، فجعل الله في فطرة الإنسان حاجة أساسية إلى الأكل، كما أنه لو ترك أمر حفظ النسل إلى رغبات الناس لم يكن ذلك دافعًا لهم ولهلك النوع البشري، فقدر الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ - وجعل في الإنسان الرغبة في الجنس الآخر، ليكون ذلك دافعًا إلى الزواج والتناسل الذي يجد الإنسان فيه لذته، وإن لم يفكر لماذا يريد





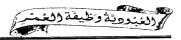
هذا الشيء لكنه يفعله من أجل اللذة، فهو لم يفكر في المصلحة، لكنه بعد ذلك يظهر له أن مصلحة حفظ النوع الإنساني حاصلة بوجود التناسل وبوجود الرغبة التي جعلت فيه.

وكذلك فلأن الإنسان حياته ناقصة، يجد رغبة في النوم والراحة كلم تعب، وهكذا نجد كل ما بالإنسان إليه حاجة جعل الله - سُبْحَانُهُ وَتَعَالَىٰ - فيه رغبة إليه، وجعل له إذا فعله لذة.

وهكذا الأمر الذي نقول إنه: وظيفة العمر، فهو الهدف من وجودنا في الحياة، إنه الإجابة على ذلك السؤال: لماذا خلقنا؟

لا نقول: من غير لماذا؟ أو لا ندري لماذا، كما يقول الزنادقة، وإنها نعلم أننا خلقنا لنعبد الله، فهذا الأمر أيضًا له لذة هي أعظم لذة على الإطلاق، إذ الحاجة إلى هذه الوظيفة هي أعظم الحاجات على الإطلاق، فهل وجدت بالفعل هذه اللذة؟! بل هل وجدت هذه الرغبة؟!.



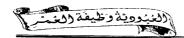


إِن الإنسان به حاجة فطرية تدفعه دفعًا إلى أن يتعبد، وإلى أن يكون عبدًا، وإلى أن يخضع، ويذل، ويستكين، ويطمئن إلى إلهه ومعبوده.

لذا فإن الإنسان لتحقيق هذه الرغبة الموجودة فيه يبحث عن إله يعبده، فإن وفق وهدي وقبل دعوة الرسل الذين جاؤوا لتحقيق العبودية لله - وحده لا شريك له - وجد السعادة واللذة في تحقيقه لهذه العبودية، وهذه اللذة قد يفعلها أولًا، ولا يجد ذلك الطعم اللذيذ الذي يجده الإنسان، لذة لا تضاهيها لذة في هذا الوجود كله.

إنها لذة ربها تأتي للإنسان في العمر لحظة، وربها دقيقة أو دقائق، وربها عاش كل ساعاته وأيامه ولياليه في هذه اللذة التي هي أعظم من كل لذة بلا شك.

وقد لا يجد الإنسان هذه اللذة بهذه الدرجة في أول الأمر، وإنها نصيب الإنسان منها على قدر تحقيق العبودية في





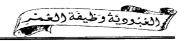
قلبه، فلماذا لا نجدها ونحن نصلي أو نصوم، وإنها نجد التعب فقط، نجد مشقة القيام، ومشقة الجوع والعطش؟

ذلك لأن العبادة لم تتم كما ينبغي، ولم تتم على الوجه الذي أمر الله - عزَّ وجلَّ - به، فوجد الإنسان النصب كما قصر، إما في الخشوع، وإما في استحضار معاني العبادة في القلب وهو يؤديها، وإما في الإخلاص، وإما في الصدق، وإما في المتابعة، فإذا وقعت المخالفة - ولو بدون قصد - فسوف يجد التعب.

أَلَمْ تَقَرأَ قَـولَ الله - عـزَّ وجلَّ - عـن موسى بَمَّلَيُلُاليَّلِلْمِنُ قال: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَنهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَنذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف:٦٢].

قال النبي حَنَّالِهُ مَّالِيُهُ مَالِينَ فَي الحديث المتفق على صحته: «وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِه».





فموسى بَمَانُيلِ المَيلِ أمره الله أن يصل إلى عبد صالح بِمَجْمَع البحرين، سافر موسى طويلًا، ولم يجد تعبًا لأنهم يتجاوز المكان الذي أمر به، فلما تجاوزه - عندما نسي الفتى أن يخبره بأمر الحوت -، كان التجاوز بغير قصد من موسى، وكان نسيانًا من الفتى، فمع أنه لم يكن عن قصد المخالفة وجد التعب، فعندما يؤدي الإنسان الوظيفة وفْقَ ما أُمِرَ به تمامًا ظاهرًا وباطنًا فإنه لا يتعب، بل لا يجد إلا السعادة والسكون والطمأنينة، فإذا جاوز فإنه يجد التعب، وكذلك إذا قصر فيها، فمثلًا: إذا أدى الصلاة بلا روح، فأداها وهو مشغول بدنياه التي بها أودية متشعبة لا يجصيها الواحد منا كثرة، ومشاغل لا تنتهي، فعند ذلك لا يجد لذة هذه العبادة، وكذلك الصيام، وكذلك الجهاد.

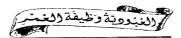
فالعبادة فطرة إنسانية، فهناك شوق دفين بالإنسان إلى أن يتعبد، أن يتوجه إلى الله، ألم تعلم قول الله - تَعَالىٰ -: ﴿ فَأَقِمْ

(الغبووية وظيفة والعنس

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينِ ٱلْقَيِّمُ وَلَئِكِ ۚ أَكْتَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

والحنيف: هو الماثل إلى الله، المعرض عن غيره، فقد خلق الله الخلق يميلون بفطرتهم إلى الله وإلى عبوديته، فهناك فقر ذاي بالإنسان، جوع شديد، وعطش شديد، وأرض قلبه تكاد تتشقق، بل قد تشققت إن لم يعطها سقياها من التوجه إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالى -، وإذا فعل ما أمر به وجد تلك اللذة وتلك الحلاوة التي قال عنها النبي عَبَاللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُ إِلَيْهِ فِيهِ وَجَدَ بهن حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبُ إِلَيْهِ عِلَى سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحُرَهُ أَنْ يُعُودَ فِي النَّارِ» (۱).

⁽١) رواه البخاري ومسلم.

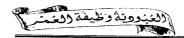


وقال عنها حَنْاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْهُ وَعَلَيْ وَضِيَ اللَّهِ عَلَيْهُ وَلِيهُ وَمِعْ وَيَنَا وَبِمُحَمَّدٍ حَنَّالِللْهُ عَلَيْهُ فَيَنَاكُ رَسُولًا (١٠٠.

فهلا سأل كل واحد منا نفسه هل وجدت طعم الإيمان؟ هل وجدت حلاوته؟ هل وجدت هذه اللذة التي نقول عنها: إنها أعظم من كل اللذات؟ أم أنك مازلت تبحث عنها؟

إذا لم تجدها فأنت بعد لم تحقق الغاية المطلوبة منك، ولم تودّ العبادة على وجهها، ولذا تجد فقط مرارة التعب والنصب، الذي سببه مجاوزة الحد إما تقصيرًا وإما تجاوزًا أو ابتعادًا عما شرع لك، ولو لم تكن تقصد، فضلًا عن أن يكون هناك قصد، فالمعاصي وترك العبادة ومخالفة ما أمر الله - عزَّ وجلَّ - به لها أثر مؤلم في نفس الإنسان، ولها شقاء وتعب، لأنها تَزِيدُ عطش القلب، ولأنها تزيد جوع النفس، وتزيد آلامها ومتاعبها.

⁽۱) رواه مسلم.



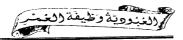


وأكثر الناس إذا بحثوا فإنهم يبحثون عن مسكرات وخدرات لتلك الآلام الرهيبة التي يجدونها ولا يعرفون سببًا لها، فيبحثون عن مزيد من اللذات الظاهرة التي لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا، التي يأخذ الإنسان منها فينسى ألمه مدة، ثم يعود الألم من جديد، ويعود الشقاء، ويعود الشعور بالكآبة والحزن، ويعود الشعور بالهم والغم والكرب، فيطلب المزيد، حاله في ذلك كحال من أدمن المخدرات.

وتأمل: لماذا يشرب أكثر الناس في العالم الخمر؟ لماذا يـشربون المخدرات؟ لماذا تفتك هذه الأشياء بالعالم كله إلا من رحم الله؟.

لاشك أن هذا الواقع الذي يعيشه الناس يؤلمهم ويريدون الهروب منه إلى ما يتمنونه، وأيسر وسيلة لتخيل الأماني، وتخيل الحياة كما تحلو للإنسان هي أن يشرب المخدرات، وأن يشرب الخمر، ليعيش كما يشتهي لحظات من الزمن، يفيق بعدها على ندم، وعلى مضرة وألم أشد، فلا يجد مفرًا إلا مزيدًا من الخمر والسكر.

MAIN



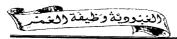
وكما أن السكر يكون بالمسكرات، يكون أيضًا بالمعاصي، فسكر لذة الجنس - مثلًا - سكر لحظات، يجري الإنسان وراءه، ويعقبه الندم العجيب الذي ربها لا يدري من أين يأتي. تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِنْمُ وَالْعَارُ تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوء من مَعَبَّتِهَا لَا كَارَ فِي لَلَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

وكذلك سكر الرياسة، والسلطان، والسطوة، والقوة التي دفعت ابن آدم الأول لقتل أخيه فوجد ندمًا عجيبًا:

﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّندِمِينَ ﴾ [المائدة:٣٠].

﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْحَسِرِينَ ﴾ [المائدة:٣١].

إن كل معصية هي ابتعاد عن عبودية الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لذا يجد الإنسان لها ألمًا، وهناك من يبحث عن علاج بالفعل؛ فالبعض يبحث عن العلاج الحقيقي الذي يسد هذا الجوع، ويدفع هذا الألم، وهذا لا يكون إلا بتحقيق العبودية لله وحده - كما ذكرنا -، ولكن أكثر الخلق لا يبحثون عن ذلك العلاج





الحقيقي، وإنها يبحثون عن مسكرات، ألم تعلم قول الله - عَزَّ وجلَّ - عن قوم لوط: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[الحجر:٧٢]

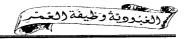
إنه سكر عجيب، سكر المعصية، سكر الشهوة، وكذلك سكرت امرأة العزيز عندما لم تسمع وقع أقدام زوجها على الباب، ولم تعقل أنه لا ينبغي لها أن تجذب فتاها حتى تشق قميصه، وتمزق ثوبه، انظر إلى شدة الجذبة التي جذبته إياها:

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ [يوسف:٢٥].

سُبْحَان الله، ما الذي أعها هذا العمى؟ إنها الشهوة المحرمة التي وجدت لها رغبة شديدة في نفسها، وهي في الحقيقة سكر يسكر الإنسان.

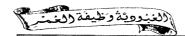
والسؤال هنا: لماذا يجد الإنسان ذلك؟





لوجود ألم في النفس يبحث الإنسان عها يزيله، في يعالجه إلا بمزيد من الداء - والعياذ بالله -، يسكر مدة قليلة، ويعود أشد تألمًا، ولا تنتهي هذه المشكلة إلا بهلاكه وقتله وموته، كالمخدرات تمامًا، هيروين، وكوكايين، وخمور، وحشيش وغير ذلك، كلها قاتلة للنفس بالفعل، وهكذا المعاصي والشهوات المحرمة - لا تنتهي بالإنسان حتى تهلكه وتدمر قلبه، لأنه لم يبحث عن العلاج الحقيقي لذلك العطش ولذلك الجوع، ولتلك الحاجة الضرورية التي يجدها في قلبه، حاجته إلى العبودية، أن يعبد الله - عزَّ وجلَّ - ويتوجه إليه ويمتلئ قلبه بمحبته، ورجائه، والخوف منه وحده، والتوكل عليه وحده، وصدق الالتجاء إليه وحده، وتفويض الأمر إليه وحده، وحسن الظن به، والرضا به - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، والصبر على ما وصيب الإنسان في سبيل طاعته والبعد عن معصيته.

وكل عبادة من العبادات، في النفس حاجة إليها، ويجد الإنسان لها لذة إذا أداها كاملة، وهذه اللذة تضيع من





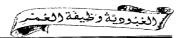
الكثيرين إذا ما أدوا العبادة كواجب ثقيل يريدون التخلص منه بأسرع ما يمكن، فيضيع منهم ألذ ما في الحياة.

قال بعض الصالحين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قال: عبة الله، والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه والإعراض عما سواه، والتوجه إليه وحده لا شريك له.

قال بعض الصالحين: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كَيْلَشُهُ: «ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أينها رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

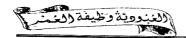
وهكذا لم يكن بالل ويشعه يجد ألم التعذيب لحالاوة: «أحد».



وهكذا كان خُبيب بن عدي هِ وكان مع عاصم بن ثابت هِ في يه يوم الرجيع - لقد عذبه المشركون عذابًا شديدًا ثم قالوا له: أتحب أن محمدًا مكانك، وأنك معافى في أهلك ومالك، فقال: «والله ما أحب أنني معافى في أهلي ومالي ويشاك محمد حَمَّلُ اللهُ عَمد حَمَّلُ اللهُ بَالِهُ عَمد حَمَّلُ اللهُ بَالِهُ عَمد حَمَّلُ اللهُ بَالِهُ اللهُ الله

أَسَرَتْ قريشٌ مُسْلِمًا في غزوةِ فَمَضَى بِلَا وَجِلِ إلى السيافِ سَأَلُوه: هل يُرْضيكَ أنكَ سالمٌ وَلك النَّبيُّ فِدى مِنْ الإِسلافِ؟ فأجابَ: كلا، لاسلمتُ مِنْ الرَّدَى

وكان ويشف قد قتل الحارث بن عامر يبوم بدر، فليا أسر في يوم الرجيع اشتراه بنو الحارث بن عامر، فمكث عندهم أسيرًا، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها، فأعارته، قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه فأتاه، فوضعه على فخده، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.



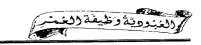


وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمر، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقًا رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني لأصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا ثم قال:

ولستُ أبالي حبن أُقْتَلُ مسلمًا على أيِّ شِقِّ كَانَ لله مَصْرَعِي وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شِلُو مُمَزَّعِ

هـذا الـذي دفع الـصحابة هِ إلى أن ينطلقوا لا يشعرون بها حولهم من الآلام، بل بالقطع وجدوا لذة أذهبت مرارة هذه الآلام، وجدوا لذة تحقيق العبودية لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فكانوا خير أمة أخرجت للناس.





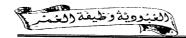
شروط العبودية وأركانها

هذه الوظيفة لها شروطها وأركانها التي لا تتحقق إلا بها، فحقيقتها كمال الحب مع كمال الذل.

فلا يؤدي الإنسان هذه الوظيفة محققًا العبودية لله - عزَّ وجلَّ - الا بكمال حبه لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -، كما قَالِنَجَبَالِیْٰ: ﴿ وَمِرَ لَا بَكَمَال حبه لله - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -، كما قَالِنَجَبَالِیْٰ: ﴿ وَمِرَ لَا لَنَاسٍ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَادًا يُحِبُونَهُمْ كَحُبِ اللّهِ أَوْالَذِينَ ءَامُنُواْ أَشَدُ حُبًا لِلّهِ قَوْلَ يَرَى اللّهِ عَلَى طَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله عَلَى اللّه عَلَى الله عَلَى اللّهُ الله عَلَى الله عَلَى اللّهُ الله عَلَى اللّهُ الله عَلَى اللّه عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الله عَلَى اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ الللهُ اللّهُ ا

والحب هو الحب، لا يفسر بغيره، ولا يشعر بـه إلا مـن يجده، لا يمكن لإنسان أن يصف طعم محبته لله لآخر لم يجدها ولم يذق شيئًا منها مرة في حياته، بل لابد من ذوقها.

وكذلك لا تتحقق العبودية لله - عزَّ وجلَّ - إلا مع كمال الذل والخضوع له - شُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -.





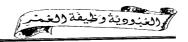
وهذا يعني أنه لو كان حبًا من غير انقياد، فهذا الحب لا ينفع صاحبه.

تعصي الإله وأنت تَزعُمُ حُبَّهُ هـذا مُحالٌ في القياسِ شَنعُ لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادقًا لأطعتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لَـنْ يُحِبُّ مُطيعٌ

فلابد إذا كان المحب صادقًا أن يكون مطيعًا لمن أحب: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُكُمْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ لَللَهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ لَللَهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وكذا قالوا: أجنحة العبادة ثلاثة: «الحب، والخوف، والرجاء».

فلابد أن تكون عبادتك لله في كل ما تؤديه حبّا له - عزّ وجلّ -، وفي الوقت نفسه لابد أن تكون خائفًا من عقابه، لا كما يقول الزنادقة: «نعبد الله حبّا؛ لا نريد جنة، ولا نخاف نارًا» نعوذ بالله من هذا الكفر والضلال الذي نسبوه إلى رابعة



العدوية، والله أعلم إن كانت قالت ذلك أم لا، لكنه من الضلال المبين، وأما من يقولون: «عبادة الرجاء عبادة التجار، وعبادة الخوف عبادة العبيد، وعبادة الحب عبادة الأحرار»، فقد نصبوا المعركة بين أجزاء الجسم الواحد، فجدير بهذا الجسم أن يتفتت ويتمزق ويقتله المرض إذا كانت أجزاؤه يحارب بعضها بعضًا.

لذا قال بعض السلف: «مَنْ عَبَدَ الله بالحب وَحْدَهُ فَهو زنديق، وَمَنْ عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري، ومَنْ عَبَدَ الله بالحب وَالحَوف الله بالحب وَالحَوف والرَّجاء فهو المؤمِن المُوحد».

وقولهم: «من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق»، أي كاذب منافق، كاذب في دعواه أنه يعبد الله حبًا، لو كان محبًا لله لأطاعه فيها قال، وقد قال: ﴿ وَإِيَّنِي فَآرَهَبُونِ ﴾ [البقرة: ١٠].



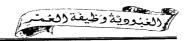
وقَالَغَغَالِيُّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيرَ عَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَنهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَتَهِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيدٌ ﴾ [البقرة:٢١٨].

أيظن أن يكون خيرًا من نبي الله زكريا وأهله الذين أثنى الله عليهم، فقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسْزِعُونَ فِي ٱلْخَيْرُتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَشِعِيرَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لذا فإن من قال: أعبد الله حبًا بلا رجاء ولا خوف فهو كاذب، زنديق، منافق يريد أن يُلَبِّسَ على الناس دينهم.

قالوا: «ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري» أي من الخوارج - نسبة إلى بلدة تسمى حروراء كان ظهور الخوارج المكفرين للأمة فيها -.





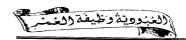
قالوا: "ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ"، نسبة إلى فرقة المرجئة المبتدعة التي تقول: "لا يضر مع الإيان معصية"، كل هؤلاء على ضلال.

قالوا: «ومن عبدالله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد».

كما قال رسول الله صَلَّالِلْلْمَالِيُهُ كَلِلْ لَكِنْ قَالَ لَهُ: إِنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، وَلَكِني أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُحْسِنُ دَنْدَنَةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ. فَقَالَ صَلَّاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَكِنْ النَّارِ. فَقَالَ صَلَّاللَهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَيْكِ : «حَوْهَا نُدَنْدِنُ»(۱).

4 4 4

______ (۱) رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة بسند صحيح.



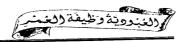


الإخلاص أساس العبادة الأول

ولا تصح العبادة إلا بالإخلاص، وهو توحيد المراد (أي لا تريد إلا وجه الله)، فهذا هو طريق الأنبياء.

فلا تريد مدح الناس ولا تخاف ذمهم، ولا تبتغي شيئًا من الدنيا جزاء على عبادتك، كمن يعمل في وظيفة من أجل مال، أو كمن يخطب أو يُحدث الناس أو يعظ من أجل مال أو وظيفة أو وجاهة ونحو هذا، لا يخطب، ولا يفتي الناس ولا يعلمهم إلا مقابل مال أو جاه، هذا من فساد الإخلاص والعياذ بالله من ذلك.

قَالَغَغَالِنْ: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّ الللَّالِلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ ال

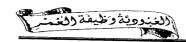


و قَالَغَ النَّى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقَوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج:٣٧].

وقال حَنْا لِللَّهُ عَلَيْهُ فَسَلِنُ : ﴿ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنَّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيْ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (١٠).

000

(١) رواه البخاري، ومسلم.



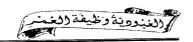


الاتباع أساس العبادة الثاني

من عَبَدَ الله من غير اتباع رسول الله حَلَالْلَهُ عَلَىٰ فهذا مبتدع ضال، كالصوفية الذين يخترعون العبادات، التي في كثير منها تعذيب للنفس، مع كونها لا تفيد شيئًا، فيعبد الله بغير اتباع للنبي حَلَّالْلَهُ عَلَيْكُ لَكُ فَتفسد العبادة، فلابد من الإنجلاص وهو توحيد المراد، ولابد من الاتباع وهو توحيد المتبوع حَلَّاللَهُ عَلَيْكُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمُ اللهُ فَاتَبَعُونِي يُحْبِبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمُ اللهُ وَمَن تَولَى فَمَا أَرْسَلْنَكُ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا اللهُ النساء و ما الاساء الما وقال حَلَّاللَهُ اللهُ النساء العبادة، والله وقال عَلَيْكُمْ بِسُنتِي اللهُ النساء الما وقال حَلَّاللَهُ اللهُ النساء الما وقال حَلَاللَهُ اللهُ اللهُ النساء الما وقال حَلَاللَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وقال حَلَاللَهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وقال حَلَاللَهُ اللهُ اللهُهُ اللهُ اللهُ

(۱) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٠٠).





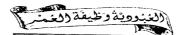
الإيهان

ركن العبادة الركين

كما أنه لابد من الإيمان، فإن العبادة لا تقبل من غير أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما قال ابْنُ عُمَرَ هِينَظ: لَـوْ أَنَّ لَأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدِ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ في سَبِيلِ الله، مَا قَبِلَ الله مِنْـهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

قَالَغَجَالِنَّ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ آلْاً خِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَتِهِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩].

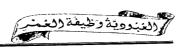
فلابد أن يريد الآخرة، ولابد أن يسعى لها سعيها، وهو الاتباع، ولابد أن يكون مؤمنًا، ولو أدى العبادات بإخلاص واتباع ولكنه كفر - مثلًا - بنبي من الأنبياء أو كتابٍ من الكتب المنزلة من عند الله أو كفر بآية واحدة من القرآن





العظيم، أو كذب باليوم الآخر أو كذب بالقدر، أو كفر بالملائكة وعاداهم، أو جعل لله ولدًا أو صاحبة، أو نسب إلى الله - عزَّ وجلَّ - الشريك والنَّد، أو جعل مع الله أربابًا يدعوهم من دونه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أو يحكمهم دون شرع الله - عزَّ وجلَّ -؛ فقد أحبط ذلك عمله، قَالَيْجَالِیٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَمِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِن آلَخَسِرِينَ ﴿ وَلَقَدْ وَكُن مِن آلَشَهُ فَآعْبُدُ وَكُن مِنَ آلَشَهُ كَالنَّهُ وَكُن مِن آلَهُ عَلَكَ آللَهُ وَاللَّهُ وَكُن مِن آلَهُ يَكُونِنَ ﴾ [الزمر: ٦٥- ٢٦].

المسلم

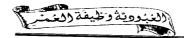


خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ

وهذه العبادة أيضًا تتطلب توحيد الإرادة فكما تُوَحِّدُ المراد بالإخلاص؛ تُوحِّدُ الإرادة بالصدق، والصدق يكون بالقول، وبالعمل كذلك، ألم تعلم قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَنهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۗ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ خَبْهُم وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الاحزاب: ٢٣].

فسمي فعلهم «صدقًا»، وهذا توحيد الإرادة، بمعنى: أنك لا توزع إرادتك على رغبات شتى، فتضعف إرادتك فيها تريد به وجه الله - عزَّ وجلَّ -.

نشبه ذلك بمَثَل: قطار يسير من الإسكندرية إلى القاهرة مباشرة، وجهته القاهرة ولا يعرج على المحطات المتوسطة، ولا يقف بها، ولا ينال بعضًا من ركابها، فهو قطار غني غير محتاج للوقوف في المحطات المتوسطة لتحصيل المال من



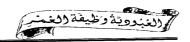


الركاب في تلك المحطات، فليس له رغبة في هؤلاء، وقطار آخر يقف على كل محطة في طريقه إلى القاهرة، ويصل في حوالي ست ساعات، فهذا مثل ضعيف الإرادة، ضعيف العزيمة، نعم هو لا يريد إلا وجهة واحدة، لا يريد إلا وجه الله، لكنه متكاسل ضعيف العزم، لا يجتهد ولا يبذل ما عنده لكي يصل إلى غايته، فهو مُتَوانٍ، ومشغولٌ بأن ينال من هذه اللذة الدنيوية شيئًا، ومن التي تليها شيئًا آخر، وهذه العبادة ثقيلة عليه نوعًا فيؤجلها ويسوفها ليفعلها غدًا، إلى متى؟

إلى أن يصل في النهاية بعد إنهاك بخلاف الذي يصل مباشرة، الذي يريح من يكون معه، بل يسعد من يركبه، لذلك إذا ركبت مركب صدق الإرادة وصلت إلى غايتك بأسرع طريق، لأنك قد جعلت لك رغبة أكيدة في الوصول، لا تتكاسل ولا تتوانى.

000

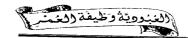




شمول العبادة

وهذه الوظيفة التي خُلقت من أجلها تشمل جميع حياتك، كيا قَالَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَحُيَاىَ وَمَمَاتِ لِنَّ مَلَاتِي وَنُسُكِي وَحُيَاىَ وَمَمَاتِ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ لَي لَا شَرِيكَ لَهُ اللهِ اللهِ أَوْبِذَ لِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

فليست العبادة داخل المسجد فقط كا يريد أعداء الإسلام أن يبثوا في نفوس أبناء الإسلام من أن العبادة تكون في المسجد فقط، كا تكون عندهم في الكنيسة والمعبد وفقط، والكل سواء، لا يهم من عبده ولمن وجه له هذه العبادة، فكل ذلك عندهم لا بأس به، وأما خارج المسجد، خارج الدين - المحصور في نطاقه المضيق - فالإنسان حريفعل ما يشتهي، هذه نقرة وهذه نقرة، ولذا نجد العجب من حصل له ذلك الانفصام، والانفصال في شخصيته، ربا

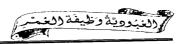




تجده محافظًا على الصلاة والحج والعمرة والصيام، وبعض الأذكار، وهو - والعياذ بالله - يعيش حياته الأخرى في حرب على الإسلام وأهله، وربها يعيش حياته الأخرى في أسرته وعمله يسرق الناس، يغشهم، يظلمهم، يفعل المحرمات، هذا الانفصام في الشخصية، سببه الخلل في مفهوم العبادة، والظن أنها في مكان معين ووقت محدد فقط، وأنه إذا أدى الإنسان ذلك انتهى كل ما عليه، أي أنه إذا أتى بالأركان فليس هناك مزيد، أيقبل ذلك أحدهم في حياته الدنيوية؟ أيرضى أن يسكن في شقة ليس بها الجدران، بل والكهاليات، والدهانات الفاخرة،...؟ فلهاذا يرضى أن يبقى له من دينه الأركان فقط؟

بالتأكيد بيت بلا أركان لا يقوم، ومعنى ذلك أن الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، والحج، أسس لهذه



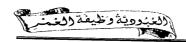


العبادة، ولكن لا يعني ذلك أنها كل العبادة، فالدين أوسع من ذلك، والعبادة أشمل من هذا، تشمل فعل كل ما أحبه الله، وترك كل ما كرهه الله كها عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية تخلّلته: «اسم جامع لكل ما يجبه الله ويرضاه من الأعهال والأقوال الظاهرة والباطنة».

بل ونضيف إلى ذلك «التروك الظاهرة والباطنة أيضًا».

فالتروك الظاهرة: هي كف الجوارح عن المحرمات، فأنت تترك ما تترك إلا لله؛ عبادة له، تغض بصرك، أي: تـترك إطلاق بصرك إلى الحرام، وتترك مثلًا فعل الفاحشة، وتـترك سرقة الناس وغصب أموالهم وغير ذلك، وكل هذا يدخل في مسمى العبادة.

والتروك الباطنة: التي تكون بالقلب ككف القلب عن المحرمات كالحسد، والغل، والضغينة، والرياء، وسوء الظن





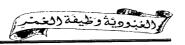
بالله، والشك، والإصرار على المعاصي وسوء الظن بالمؤمنين، ومحبة الكافرين وموالاتهم، وغير ذلك.

والعبادات الباطنة: كالحب والخوف والرجاء، والإنابة، وحسن الظن بالله، والتوبة، والرضا، والتوكل، والصبر، والإخلاص، والمراقبة، والمحاسبة، والتفكر، والإخبات، والذل، والزهد، والورع، وتعظيم حرمات الله، والتواضع، والافتقار إلى الله، والغنى عن الخلق، والشوق إلى لقائمه وغيرها من العبادات التي تؤدى بالقلب.

والعبادات الظاهرة: منها ما يؤدى باللسان: كالذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، والاستغفار، والتسمية، والاستعاذة، والحلف، والنصيحة للمسلمين، والدعوة إلى الله.

ومنها ما يؤدى بالبدن: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والرحلة في طلب العلم، والمشي إلى المساجد، وزيارة

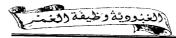




الإخوة في الله، والسعي في حوائج المسلمين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران، والسماحة في البيع والشراء والقضاء، وغير ذلك.

ومنها ما يؤدى بالمال: كالزكاة والصدقة، والنفقة في الحج والعمرة وعلى الزوجة والأولاد والأقارب والنذر بالمال. نسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يجعلنا من عباده المخلصين







إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين

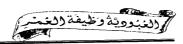
وأهم ما تتحقق به هذه الوظيفة الاستعانة بالله، فأنت لا تعبد الله إلا بالاستعانة به.

قَالَتَجَالِنَّ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ [الفائحة:٥]. وهذا الذي أمر به النبي عَنَّلُولْمُ عَلَيْهُ فَتَلِيْنَ مَعَاذًا هِيْنَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ والله إِنِّي لأُحِبُّكَ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ

. اللَّهُمَّ أُعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ (١٠).

فهو - سُبْحَانَهُ - الأول والآخر والظاهر والباطن، فالعبد يعامل سبقه - تَعَالىٰ - بأوليته قبل كل شيء، وسبقَه بفضلِه وإحسانِه الأسباب كلها، يعامل ذلك بها يقتضيه من إفراده - عَزَّ وَجَلَّ -، وعدم الالتفات إلى غيره، ولا الوثوق بسواه، ولا التوكل على غيره.





قال ابن القيم يَحْلَشْهُ:

"فمن ذا الذي شَفَع لك في الأزل حيث لم تكن شيئًا مذكورًا حتى سياك باسم الإسلام، ووَسَمَك بسمة الإيهان، وجعلك من أهل قبضة اليمين، وأقطعَك في ذلك الغيب عَهالاتِ المؤمنين، فعصَمَك من العبادة للعبيد، وأعتقك من التزام الرِّقِّ لمن له شكْلٌ ونَديد، شم وجَّه وجهة قلبِك إليه سببُ حَانَه - دون ما سواه، فاضرع إلى الذي عصمك من السجود للصنم، وقضى لك بقدم الصدق في القِدَم، أن يُتِم عليك نعمة هو ابتدأها، وكانت أوليَّتُها منه بلا سبب منك، واسمُ بهيمَّتِكَ عن ملاحظة الأختيار، ولا تركنن إلى الرسوم والآثار، ولا تَقْنع بالخسيس الدُّون، وعليك بالمطالبِ العالية، والمراتبِ السامية، التي لا تنال إلا بطاعة الله، فإن الله والمراتبِ السامية، التي لا تنال إلا بطاعة، ومن كان لله على يريد، فمن أقْبَلَ إليه تَلَقَّاه مِن

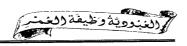


بعيد، ومَن استعان بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد، ثم اسْمُ بِسِرِّكَ إلى المطلب الأعلى، واقصر حبك وتقربك على مَن سَبقَ فضله وإحسانه إليك كل سبب منك، بل هو الذي جاد عليك بالأسباب، وهيأها لك، وصَرَف عنك موانعها، وأوْصَلك بها إلى غايتك المحمودة، فتوكل عليه وحده، وعامِلْه وحده، وآثر رضاه وحده، واجعل حبَّه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفًا بها مستليًا لأركانها، واقفًا بمأنزَمِها، فيا فوزك وسعادتك إن اطلع - سبحانه - على ذلك من قلبك، بها يُفيضُه عليك من ملابس نعمِه وخلع أفضاله. «اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجُدِّ مِنْك الجُدِّ مِنْك الجُدْ مِنْك الجُدْ مِنْك الجُدْ مِنْك الجُدْ مِنْك الجُدِّ مِنْك الجُدْ الجُدْلِ العَلْم المُنْتَعِلَ المُؤْلِق الجُدْلِ العَلْم المِنْكُ الجُدْلِ المُعْلِق الجُدْلُ الجُدْلُ الجَدْلِ العَلْم المُنْكُونِ اللهُ المُعْلِق المِنْكُونِ المُنْكُونِ المُعْلِق المُنْعُمُ المُنْكُونُ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُعْلِق المِنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المُنْكُونِ المناك المُنْكُونِ المناك المُنْكُونِ المُنْكُونِ المناك المُنْكُونِ المناك المُنْكُونِ المناك المناك المؤلِق المناك المناك المناك المُنْكُونِ المناك المنا

ونسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

⁽١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم، بتصرف يسير.





لخاتمة

والآن أخي الحبيب، بعد أن عرفت وظيفتك في الحياة وهي عبادة الله وحده، لا شريك له، ومعلوم أن كل موظف يسعى جاهدًا أن يرفع درجته في المجتمع ليعيش منعمًا، فتراه يسعى للرقبي في السلم الوظيفي، فيدخل في مسابقات وظيفية، أو يسهر الليل والنهار في المذاكرة، أو يتغرب عن أهله في بلاد مختلفة طلبًا للشهادة الدنيوية، وأملًا أن ترتفع درجته وعلاوته، واصلًا حياته في تلك الدائرة.

وكل ذلك من أجل أن يرفع مكانته ووجاهته ونعيمه في مجتمعه، على الرغم من أن هذه الوظيفة، وتلك الدرجة أو الشهادة، وذلك الكرسي الذي يحرص عليه ويتنافس من أجله لن يدوم فيه، وقد يموت قبل أن يصل إليه، فهو ظل زائل وعارية مستردة.

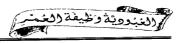


ولكن هكذا طموح كثير من الناس في الدنيا، وهي في الحقيقة كما قال النبي كَلُاللَّهُ مَّلِكُ : «لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً مَاءٍ "(١).

وكأني بملك من ملوك الأرض بني قصرًا وشيده فأحسن تشييده وصرف عليه مبالغ طائلة، ثم قال للناس من كان له

⁽١) رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

⁽٢) الخزف: الحجارة.



على هذا القصر ملاحظة قيمة كانت له جائزة قيمة، فأخذ الناس يدخلون ذلك القصر ويتعجبون من إحكام بنائه، فمر رجل فوجد الزحام أمام القصر فسأل عن الخبر فأخبروه.

قال: عليه ملاحظتان، أدخلوني إلى صاحبه، فلم دخل عليه وسأله عنهما، قال: مالكه سيموت، والقصر سيفني ليس غير الله يبقى.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآ بِقَةُ ٱلۡمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

فالدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، أيكم يبني على أموج البحر دارًا، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا.

والمسلم الرباني عبدٌ لله في كل أحواله وأوقاته، فقيرًا كان أو غنيًا، مُمكّنًا أو مستضعفًا، مظلومًا في ظلمات السجون أو مَلِكًا مُمكّنًا على رؤوس الناس، يسعى لرضا ربه ومحبته حتى يجبه الله، فتكون معه الفئةُ التي لا تُغلب ولا تُهزم.



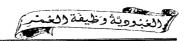
قال - سُبْحَانَه - في الحديث القدسي: «فَإِذَا أَحْبَبُتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ مِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعْطِينَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعْطِينَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعْطِينَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعْطِينَهُ وَمَا تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ لَلْمُوتَ وَمَا تَرَدَّدُتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المُوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(۱).

قَالَغَجَّالِيُّ : ﴿ يَتَأَيُّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمِ مُحَبُّهُمْ وَمُحُبُّونَهُۥ أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةٍ عَلَى ٱللَّهُ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآبِمٍ عَلَى ٱللَّهُ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآبِمٍ ذَاكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءٌ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

أخي الحبيب:

فإذا وجدت أهل الدنيا يتنافسون في وظائف الدنيا وشواغلها فنافشهم في وظيفة العمر التي خُلِقْتَ من أجلها

⁽٢) رواه البخاري.



(العبودية)، بأن تحب الله أكثر، وتخاف منه أكثر، وتتوكل عليه أكثر، وتركع له أكثر.

قَالَّغَبَّالِنَّ : ﴿ وَٱسْجُد وَٱقْتَرِبٍ ﴾ [العلق:١٩].

وقال النبي حَنَّاللَهُ مَّلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ الْعَبُدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَا يَكُونُ الْعَبُدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(١).

وفي رواية: « فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ في السُّجُودِ»(٢).

نسأله - سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ - أن يجعلنا من الساجدين ومن عباده المخلّصين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّي الله وسلَّم على النبي الأمن، وآل بينه الطيبن، وصحبه

المكرمين، ومن تبعهم إلى يومر الدين.

المجيدة تم بحمر (لله بيبيد

(۱) رواه مسلم وأبو داود، والنسائي وأحمد.

(٢) رواه أبو عوانة، والبيهقي، وصححه الألباني في الإرواء (٤٥٦).

فهرئين

| ٣ | • • • • | • • • • • • • | | | | | المقدمة |
|----|---------|-----------------|-------------------|---------------------|-----------|-----------|-------------------|
| ٧ | | | | | لوجود . | ي غاية اا | العبادة هي |
| ۸ | | | | | | المعبود | والإله هو |
| ٩ | | | | • • • • • • • • | | .ةة | لذة العباد |
| | | | | | | | شروط ال |
| ۲۸ | | • • • • • • • • | | الأول. | العبادة | ل أساسر | الإخلاص |
| ۳. | | • • • • • • • | • • • • • • • • • | ني | بادة الثا | ماس الع | الاتباع أس |
| ٣١ | | • • • • • • • | | ن | دة الركير | كن العبا | ب الإيمان رد |
| | | | | | | | خُذُواْ مَآ |
| 30 | | • • • • • • • | | · • • • • • • • | | عبادة | شمول ال |
| | | | | | | | إِيَّاكَ نَعْبُدُ |
| | | | | | | | ُ الخاتمة |
| ٤٨ | | | | | | | . :11 |